محاضرة 6: عصر ملوك الطوائف

الأهداف: في نهاية المحاضرة سيتمكن الطالب من:

-أن يتعرف على نية العرقية والسياسية لملوك الطوائف

- أن يكتشف دورهم في غلبة الإسبان وتوسعهم في الأندلس

-أن يتعرف على دور المرابطين في إنهاء عصر ملوك الطوائف بالأندلس

مقدمة:

منذ نهاية القرن الرابع الهجري، استبد الحجاب بالسلطة الفعلية في الأندلس، وتعاقب على العرش مجموعة من الخلفاء الأمويين العاجزين عن توحيدها والمتصارعين فيما بينهم، فضعف الحكم المركزي بقرطبة، وانتهى بسقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ / 1031م. ونتيجة لذلك؛ انقسمت الأندلس إلى مجموعة من الإمارات الصغيرة المتطاحنة، سميت بمماليك الطوائف، في هذه المحاضرة سنعرض أحداث هذا العصر ومميزاته ومراحله وكيف أدى إلى إنهاء الحكم الإسلامي بالأندلس، بدءا بتسلط الإسبان إلى نهاية ملوك الطوائف على يد يوسف بن تاشفين.

الفتنة البربرية الكبرى:

ذكرنا في نهاية المحاضرة السابقة الأحداث التي أدت إلى ظهور عصر ملوك الطوائف، وتعرف بفتنة الأندلس أو الفتنة الكبرى، هو مصطلح يصف حالة الاقتتال والتصارع على السلطة التي شهدتها الأندلس في الفترة الزمنية التي امتدت منذ عام 399 هـ إلى عام 422 هـ، هي ذلك الخلاف الذي وقع بين فئتين من المسلمين: البربر من جهة والأندلسيين وبخاصَّةٍ منهم أهل قرطبة من جهةٍ أخرى حول منصب الخلافة والتي انتهت بانهيار الدولتين الأموية والعامرية، وظهور ما يعرف بفترة حكم ملوك الطوائف.

1-ملوك الطوائف وأحزابها

بدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس عام 422هـ، عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية بالأندلس، وكان هذا الإعلان بمثابة إشارة البدء لكل أمير من أمراء الأندلس ليتجه كل واحد منهم إلى بناء دويلة صغيرة على أملاكه ومقاطعاته، ويؤسس أسرة حاكمة من أهله وذويه، وبلغت هذه

الأسر الحاكمة أكثر من عشرين أسرة في أكثر من 12 دويلة، منهم غرناطة وأشبيلية والمرية وبلنسية وطليطلة وسرقسطة والبزازين وبداجوز؛ وأهم هذه الطوائف:

بنو عباد بأشبيلية (414هـ - 484هـ).

بنو جهور في قرطبة (422هـ - 449هـ).

بنو حمود في مالقة (407هـ - 449هـ).

بنو زيري في غرناطة (403هـ - 483هـ).

بنو هود في سرقسطة (410هـ - 536هـ).

بنو رزين في السهلة (402هـ - 497هـ).

بنو ذي النون في طليطلة (400هـ -478هـ).

بني الأفطس في بطليوس (413هـ -487هـ).

بنو هارون في شنتمرية الغرب.

وقد انضوت هذه الدويلات تحت مظلة **أحزاب ثلاثة كبيرة** عمل كل منها على بسط سلطانه على كل الأندلس.

أ –حزب أهل الأندلس:

ويقصد بهم من استقروا في البلاد من قديم الزمان وصاروا أندلسيين بمرور الزمن بصرف النظر عن أصلهم العربي أو المغربي أو الصقلي أو الإسباني، وقد أطلق على هؤلاء مصطلح أهل الجماعة، ومن هؤلاء: بنو عباد اللخميون في إشبيلية، وبنو جهور في قرطبة، وبنو هود الجذاميون في سرقسطة، وبنو صمادح أو بنو تجيب في ألمرية، وبنو برزال في قرمونة، وعبد العزيز بن أبي عامر في بلنسية الخ.

ب –حزب البربر أو المغاربة:

حديثو العهد بالأندلس وهم الذين استقروا بها منذ زمن المنصور بن أبي عامر، ومن هؤلاء بنو زيري الصنهاجيون في غرناطة، وبنو حمود الأدارسة العلويون في مالقة.

ج –حزب كبار الصقالبة:

الذين استقلوا بشرقي الأندلس، ومنهم مجاهد العامري الذي استقل بداتية والجزر الشرقية وغيرها، وخيران العامري زعيم حزب الصقالبة في قرطبة أثناء الفتنة.

وكل واحد من هذه الأحزاب حرص على أن يبحث لنفسه عن غطاء روحي فأقام خليفة بجواره يستمد منه سلطانه، فبنو عبَّاد جاءوا بشخص اسمه خلف الحصرى، كان شديد الشبه بهشام المؤيد المشكوك في موته، فجعلوه خليفة.

أما الحزب المغربي فقد تولى خلافته بنو حمود بالنظر إلى أصلهم العربي الشريف، ولكن هؤلاء انقسموا على أنفسهم وصار كل واحد منهم يزعم الخلافة لنفسه، ويتخذ ألقابها مثل المهدي والعالي والمستعلي .. الخ، وانتهى ملك الحموديين باستيلاء بنى زيري ملوك غرناطة على مالقة، وبني عباد على الجزيرة الخضراء.

أما حزب الصقالبة فقد أقام مجاهد العامري في مملكته بداتية والجزر الشرقية خليفة أمويا هو الفقيه أبو عبد الله بن الوليد المعيطي الذي لقبه بالمنتصر بالله. وهذا وضع جعل المراكشي يسخر منه فيقول: "وصار الأمر في غاية الأخلوقة (الأضحوكة) والفضيحة، أربعة كلهم يتسمى بأمير المؤمنين في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخًا في مثلها ". كما علق عليه ابن حزم الذي بقوله: " واجتمع عندنا بالأندلس في صقع واحد خلفاء أربعة، كل واحد منهم يخطب له بالخلافة بموضعه، وتلك فضيحة لم ير مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام كلهم تسمى بالخلافة، وإمارة المؤمنين".

2–سيطرة الأسبان

في هذا الوقت كانت دول إسبانيا المسيحية في شمال البلاد تعمل على توحيد صفوفها تساندها فرنسا والبابوية في روما. وما إن زالت الدولة الأموية من الأندلس حتى تغلغل النفوذ الفرنسي بكل صوره، سياسية وثقافية ودينية في الشمال الإسباني باعثًا روحًا صليبية جديدة ضد المسلمين.

وكان يحكم إسبانيا المسيحية في هذه الآونة رجل طموح هو الملك **ألفونسو السادس ملك قشتالة**، نجح في توحيد مملكتي قشتالة، وليون، وسيطر على الممالك المسيحية الشمالية، وتوَّج جهوده العسكرية باحتلال **طليطلة** عاصمة الثغر الأدنى للمسلمين سنة (478هـ = 1085م)، رغم تميزها بموقع منيع. وكان سقوط مدينة طليطلة في أيدي الإسبان كارثة كبرى للمسلمين؛ لأن العدو احتل الأراضي الواسعة التي تمتد جنوبًا حتى جبال قرطبة، وأطلق على هذه المنطقة الجديدة اسم "قشتالة الجديدة" وبذلك تمزقت بلاد المسلمين وانشطرت إلى قسمين. ولم يكتف **ألفونسو السادس** بما حققه، وإنما اتجه بتحريض من الفرنسيين إلى مدينة **سرقسطة** عاصمة الثغر الأعلى وحاصرها بهدف الاستيلاء عليها، وأخذ يضرب

ملوك الطوائف بعضهم ببعض، ويهاجم أراضيهم ويطالبهم بالأموال كي يضعفهم عسكريا واقتصاديا.

3-استنجاد ملوك الطوائف بالمرابطين

اجتمع ملوك الطوائف ومعهم علماء الأندلس للنظر في خطر ألفونسو السادس الذي يهدد الإسلام في الأندلس، فأشار العلماء في ذلك الاجتماع بالجهاد، وطبعا عارض الأمراء ذلك الرأي بشدة، بحجة عدم قدرتهم على الوقوف وحدهم في مواجهة القشتاليين، فاقترح العلماء مرة أخرى الاستعانة بالمرابطين، فتخوف الأمراء من سيطرة دولة المرابطين، وتجادلوا كثيرا حتى قام **المعتمد بن عباد** وقال خطبة كان آخرها مقولته الشهيرة: «والله لا يُسمَعُ عني أبدًا أنني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى، فتقوم علي اللعنة في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري، تالله؛ إنني لأوثر أن أرعى الجمال لسلطان مراكش على أن أغدو تابعًا لملك النصارى وأن أؤدي له الجزية، والله لَأَنْ أرعى الإبل في المغرب خيرٌ لي من أن أرعى الخنازير في أوروبا»، وتم الاتفاق على طلب العون من المرابطين لمحاربة قشتالة.

عندما وصل الوفد إلى **يوسف بن تاشفين** جهز سبعة آلاف رجل، وعبر مضيق جبل طارق ودخل إلى قرطبة، ثم أشبيلية، ثم اتجه شمالا حتى وصل إلى **الزلاقة**، وقد انضم إليه من أهل الأندلس حتى وصل إلى حوالي ثلاثين ألف رجل، وهناك وقعت المعركة الشهيرة التي هزم فيها ملك قشتالة شر هزيمة. لكنه نصر

لم يتطور إلى أن تتقدم الجيوش الإسلامية لاسترداد **طليطلة** من أيدي النصارى، خاصة أن الملك الإسباني كان قد فقد زهرة جيشه في هذه المعركة، ولم يختلف المؤرخون بأن الطريق كان مفتوحا تماما، وممهدا لكي يقوم المرابطون والأندلسيون بهذه الخطوة. وقد علق يوسف أشباخ في كتابه تاريخ الأندلس على عهد المرابطين والموحدين على موقعة الزلاقة بقوله: "إن يوسف بن تاشفين لو أراد استغلال انتصاره في موقعة الزلاقة، لربما كانت أوروبا الآن تدين بالإسلام، ولدرس القرآن في جامعات موسكو، وبرلين، ولندن، وباريس".

4-نهاية ملوك الطوائف

بعد أن عاد يوسف بن تاشفين إلى أرض المغرب، حدثت الصراعات بين الأمراء الموجودين في بلاد الأندلس على غنائم معركة الزلاقة، وحدثت الصراعات على البلاد المحررة، فضج العلماء، وذهبوا إلى يوسف بن تاشفين يطلبون منه الدخول مرة أخرى إلى الأندلس لتخليص الشعب من هؤلاء الأمراء، فتورع يوسف بن تاشفين من محاربة المسلمين، فأتته الفتاوى من كل بلاد المسلمين، حتى جاءته من بلاد الشام من **أبي حامد الغزالي** صاحب الإحياء، وكان معاصرا له، وجاءته الفتاوى من أبي بكر الطرطوشي عالم مصر، وجاءته الفتاوى من كل علماء المالكية في شمال إفريقية؛ جاءته الفتاوى أنه عليه أن يدخل البلاد، ويضمها إلى دولة المرابطين، حتى ينجد المسلمين مما هم فيه، ففعل ودخل الأندلس سنة 483هـ بعد موقعة الزلاقة سنة 479هـ بأربع سنوات، واستطاع ضم كل بلاد الأندلس، وتحرير سرقسطة، وضمها إلى بلاد المسلمين، وأصبح يوسف بن تاشفين أميرا على دولة تصل من شمال الأندلس بالقرب من فرنسا إلى وسط أفريقيا. وبهذا انتهى عصر ملوك الطوائف، الذي امتد لسبع وخمسين سنة من 422هـ إلى سنة 479هـ.

المصادر:

1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج4.ج5

2. ابن خلدون، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ج4. ج6

3. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: جس كولان، وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت،1983، ج1.

4. ابن كثير، البداية والنهاية، ح. محمد تامر، دار التقوى، القاهرة.ج1 ، ج10.

5. أبو العباس احمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج 1.

6. عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ط1، 1997، مكتبة الخانجي

7. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

8. أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.

9. أبو الحسن علي ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م

10. محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الأبار: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط2، 1985.

11. علي بن موسى بن سعيد المراكشي: المغرب في حلى المغرب، دار المعارف، مصر، 1955.

12. حمدي عبد المنعم، ثورات البربر في الأندلس في عهد الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، 1993

13. حسين مؤنس، ثورات البربر في إفريقية والأندلس، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1948